

لمخاطبة الباحث

rm_sh76@yahoo.com

الإعلام الفلسطيني وتحديات العصر

إعداد

رمزي صادق شاهين

تقديم :

جذب الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي المعروف باتفاق اوسلو والموقع في واشنطن في 13/9/1993م جذب الانتباه إلى كينونة الشعب الفلسطيني وفاعليته وتفاعله مع المجتمع العربي والدولي وظن بعضهم أن مقومات هذه الكيانية تأتي للمرة الأولى بفضل هذا الاتفاق ، الأمر الذي يدفع الغيورين والمختصين إلى المعالجة العلمية التي تصحح هذا المفهوم وتعطي لهذا الشعب حقه في المعايضة الايجابية والتاريخية مع المجتمع الإنساني ولقد أسهم الفلسطينيون مع غيرهم عبر التاريخ قديمه وحديثه في صناعة البناء الإنساني والحضاري ولهم بصماتهم الثابتة وعطاءاتهم الخصبة في حقول النشاط الإنساني ومجالاته المختلفة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية وما يزالون يسهمون في تطور المؤسسات والنظم الدولية كغيرهم من شعوب العالم وسنحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء على الإعلام الفلسطيني وتحديات العصر واشكالياته.

أصاب فلسطين غيب عالمي ما يزال ينعكس سلبا على حياة الشعب الفلسطيني، وتسلك هذا الغيب والظلم إلى المؤسسات الفلسطينية ومنها المؤسسة الإعلامية بأركانها المختلفة.

مفهوم الإعلام :

الإعلام من مادته اللغوية هو علم من صفات الله عز وجل، العليم والعالم والعلام، "وهو الخلاق العليم وعلم الشيء هو عرفه ويقينه

لقد اكتسب الإعلام أهمية بالغة في العصر الحديث وبخاصة في الحربين العالميتين اللتين كان فيها الإعلام سلاحا فعالا على الجبهتين الداخلية والخارجية، ولقد اختلفت الروايات في تحديد مفهوم الإعلام فهناك من يعرف الإعلام بأنه (النقل الحر والموضوعي للأخبار والمعلومات، بإحدى وسائل الإعلام، أو انه نقل الأخبار، والوقائع بصورة صحيحة، وانه يستهدف العقل ولا يهدف إلى أي غرض سوى الإعلام ذاته لغرض التمييز بينه وبين الدعاية).

وهناك من يرى الإعلام بأنه (نشر المعلومات بعد جمعها وانتقائها، أو نشرها لكسب الأنصار، أو انه يعني الدبلوماسية المفتوحة أو الدبلوماسية الشعبية والعمل السياسي الخارجي)، ويرى آخرون بأن الإعلام (عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم في الآراء)، ويربط الباحثون بين الإعلام والاتصال باعتباره مشتقا من التعبير الأجنبي وباعتباره يقوم على أساس التفاعل بين الجماهير، ولذلك كثيرا ما يرد معنى الإعلام مختلطا في الحديث عن الاتصال، فالإعلام هو تزويد الجماهير بالمعلومات والأخبار بقصد التأثير على تلك الجماهير وإقناعها.

ويستقى الإعلام أهميته لكونه يؤثر ويتأثر بالنظام الاجتماعي، الذي يؤثر على تكوين وسائل الإعلام وعلى أداء تلك الوسائل لعلمها، كما أن وسائل الإعلام لها تأثير كبير على النظام الاجتماعي، وكلما كانت المادة الإعلامية ملائمة للجمهور لغة ومحتوى ازداد تأثيرها، ولذا لا بد من معرفة الجمهور معرفة عميقة اقتصادية واجتماعيا وثقافيا ليتسنى وضع المادة الإعلامية المناسبة، ومع تطور العلوم وتقدم التكنولوجيا تطور فن الإعلام وتقدمت وسائله وتعددت أساليبه وأصبح هذا العلم أساسا في العلوم الحديثة ومادة لا غنى عنها في الجامعات والبلاد ولذلك فإن الإعلام سلاح ذو حدين إن حسنت قيادته

وبناؤه واستثماره حسن تحقيق الأهداف، وان اختل ميزان القيادة الإعلامية واهتزت قواعده عاد الإعلام بالضرر على صناعه وأهله.

ولقد تميز القرن العشرون بالتطور الهائل في وسائل الإعلام والاتصال، وبما تحدثه من آثار عميقة في الحياة، فهي القوة التي تدفع بالمجموعات إلى التلاؤم، وعندما نقارن ما نتعلمه من خبرتنا المباشرة، بما نحصل عليه من خلال الاتصال، سنجد أن مجال خبرتنا محدودة وبدائية.

ومن الواضح أن ما نعرفه من الأمور العامة يعتمد معظمه على ما تقدمه وسائل الإعلام التي تعمل على تنمية العلاقات وتوسيع المدارك والمفاهيم، وعلى نقل الثقافة من المجتمع إلى الأعضاء الجدد، فالإعلام في أي مجتمع يعكس البناء الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي لأن وسائل الإعلام تتطور وتنمو بنفس النسبة التي يسير بها التطور الاقتصادي والاجتماعي لذلك نجد نظاماً إعلامية متأخرة في الدول النامية ونظاماً إعلامية حديثة في الدول المتقدمة.

ولاحظ دائماً أن الصراع على السلطة يعكس الصراع على الإعلام، فأية محاولة انقلاب أو تحريك شعبي إنما يستهدف أول الأمر الاستيلاء على الإذاعة أو التلفاز أو أية منابر إعلامية فالصراع الإعلامي هو الصراع من أجل السيطرة والنفوذ، وامتلاك حق وضع سياسة إعلامية تخدم الفئة المسيطرة، ومن هنا ينشأ النزاع بين القوى المسيطرة والقوى المقاومة لها، وحول هذا الصراع تدور كافة القضايا الإعلامية.

مفهوم الإعلام الفلسطيني:

يرتبط مفهوم الإعلام بالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد لان العلاقة بين البناء الإعلامي وبناء وتطور المجتمع علاقة وثيقة وبالتالي لكل بلد من البلدان، أو دولة من الدول سياستها الإعلامية الخاصة بها وغير المستوردة والنابعة من احتياجاتها الإنسانية الأساسية وظروفها وحقائقها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وقد بدأت دول العالم الثالث في السعي لإيجاد سياسة إعلامية تواجه التدفق الإعلامي من الدول الصناعية واتخذت شكل التظاهرات الفكرية والإعلامية المطالبة بالنظام الإعلامي الدولي الجديد.

وقد تأثر المفهوم العام للإعلام الفلسطيني بواقع المجتمع الفلسطيني الذي تعرض للغزو الصهيوني الاستيطاني المبرمج الذي وجد ضالته في وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧م، وقد عاش المجتمع الفلسطيني حالة من الشتات والتناقض المترتب على هذا الشتات والتوزيع القسري خارج فلسطين في أقطار الوطن العربي، وفي بلدان العالم المختلفة، حتى قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، وانطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة في الفاتح من يناير ١٩٦٥م، التي استطاعت أن تبلور مفهوماً عاماً للإعلام الفلسطيني وسياسة إعلامية تعكس النظام السياسي الفلسطيني في عصر الثورة عبر عنها البلاغ العسكري الأول والبيان السياسي الأول، وإذا كان النظام الإعلامي أو الاتصالي في أي مجتمع يعكس البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يعمل فيه وفق ولبورشرام، وان الظروف تؤثر مباشرة على وسائل الإعلام وانتشارها وسياستها، فإن النظام السياسي الفلسطيني بذلك نظام متميز يؤثر ويتأثر بواقع المجتمع الفلسطيني متعدد التجمعات والانتماءات.

إضافة إلى انه نظام سياسي لحركة تحرير وطني ما يزال يعيشها حتى هذه الأيام في ضوء عملية السلام وفي إطار السلطة الوطنية الفلسطينية على ارض فلسطينية التي تعمل جاهدة ما استطاعت على ترسيخ الوحدة الوطنية، وتوسيع دائرة الحوار الوطني الديمقراطي، من أجل تدعيم البناء والانتماء في مواجهة سياسة الحصار والإغلاق والاستيطان والاستلاب.

وفي ضوء هذا الإطار حددت القيادة السياسية الفلسطينية مفهومها للأعلام على انه (استثمار كافة وسائل الإعلام والاتصال، تجاه خدمة القضية الفلسطينية ودعمها على المستويات الفلسطينية والعربية

والدولية بما يحقق توظيف الرأي العام نحو الضغط المتواصل والمنظم على القيادات الفاعلة وصناع القرار في مختلف أرجاء المعمورة لاتخاذ المواقف والقرارات التي من شأنها أن تجعل من القضية الفلسطينية محورا دائما لاهتمام المجتمع الدولي وتوفير الدعم للشعب الفلسطيني لتحقيق أهدافه الوطنية في الحرية وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني، ومع قيام السلطة الوطنية الفلسطينية وتشكيل وزارتها العاملة فقد أكدت وزارة الإعلام على الأهداف الإعلامية العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها القيادة الوطنية الشرعية وأضافت إلى الأهداف السابقة هدف دعم مشروعية السلطة الوطنية الفلسطينية التي تجسد الكيان الوطني على الأرض، وان نجاحها انتصار للشعب الفلسطيني باختلاف اتجاهاته وانتماءاته، وهذا يتطلب التمسك بخيار السلام وكشف تنصل الحكومة الإسرائيلية من الالتزام بمواثيق السلام والاستمرار في سياسة الهيمنة والاستيطان والإضرار بحقوق الإنسان وتعويق عملية السلام.

التجربة الإعلامية في الأرض المحتلة :

الأرض المحتلة هي اليوم كل فلسطين من البحر من النهر، وتشمل الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٤٨م، وهو عام النكبة وقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨م، على أشلاء شعب فلسطين الذي شرد بالقهر والظلم والتأمر إلى خارج فلسطين سواء إلى الأرض العربية أو إلى خارج الوطن العربي، كما تشمل الأراضي المحتلة اليوم الضفة الغربية وتشمل قطاع غزة المحاصر من جميع المناطق برا وبحرا وجوا وحتى المعابر للمسافرين والبضاعة تحت السيطرة الإسرائيلية. في هذا الجزر سنتناول التجربة الإعلامية في الأراضي المحتلة مركزين على صعوبات العمل الصحفي في الأراضي المحتلة وهي كما يلي:-

١. إخضاع الصحافة الفلسطينية لقوانين أنظمة الطوارئ.
٢. إغلاق الصحف وسحب تراخيص صدورها فخلال العشر سنوات الماضية أصدرت سلطات الاحتلال عشرات القرارات لإغلاق دائم ومؤقت ضد عدد من الصحف الفلسطينية مثل الفجر والشعب والمكتب الصحفي الفلسطيني وغيرها.
٣. منع أو تحديد توزيع الصحف وخلال السنوات الماضية بلغ عدد حالات المنع فيما يقارب أربعين حالة صودرت فيها أعداد الفجر ١٠ مرات والشعب ٩ مرات.
٤. عدم تسهيل الحصول على مستلزمات العمل الضرورية كالهاتف والتلكس.
٥. اعتقال الصحفيين الفلسطينيين ففي الفترة من عام ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥ أقدمت سلطات الاحتلال على تنفيذ اثنتي عشرة عملية اعتقال ضد الصحفيين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.
٦. فرض عقوبة الإقامة على الجبرية ضد الصحفيين الفلسطينيين مما يعرض هيئة التحرير إلى القلق والاضطراب.
٧. الاعتداءات اليومية على الصحافة والصحفيين من قبل سلطات الاحتلال مما يعرض الأمن الذاتي للخطر وكذلك مواقع العمل.

لقد رأت سلطات الاحتلال الصهيوني في الصحافة الفلسطينية أداة كشف لسياستها القمعية ووسيلة نافذة للتعبيد ضد سياسة المحتلين، وبالرغم من الممارسات الإسرائيلية التي كان يمارسها الجيش الإسرائيلي ضد الحافة والصحفيين استمرت الصحافة الفلسطينية تؤدي رسالتها وتقدم على طريق الحرية شهداءها ويتصدى رجالها للقمع والظلم وسياسة التهجير والاستيطان، وتخطي الكتابة الصحفية باحترام الجمهور وهي وسيلة مهمة للتعبيد والثبات والصمود والتحدي.

لقد واجهت صحافة الضفة والقطاع، في العقدين الأخيرين، مصاعب جمة أهمها الرقابة الإسرائيلية المعيقة للإنتاج والتوزيع، وحتى لقراءة الصحف؛ ناهيك عن الحساسيات الناتجة عن ضرورة الأخذ في الحسبان مواقف الدول العربية والمنظمات الفلسطينية التي تعتمد عليها ماليا بعض صحف الداخل مما

أدى إلى أن معظم الصحفيين في الأرض المحتلة، عملوا بدوام ليلي جزئي إلى جانب أعمالهم النهارية الأخرى، مما اثر سلبا على أدائهم المهني. علاوة على ذلك، فإن توظيف الصحفيين استند إلى الو لاءات السياسية، والروابط العائلية والاجتماعية، أكثر من الكفاءات الصحفية؛ فالمتعلمون الفلسطينيون، رجالا ونساء، اتكوا كثيرا على الخلفية العائلية في الحصول على وظائفهم، الأمر الذي عكس نفسه على كتابات معظم الصحفيين عن خصومهم، دون الاستناد إلى الحقائق.

الإعلام الفلسطيني في مواجهة الإعلام الصهيوني:

يخوض الإعلام الفلسطيني معارك طاحنة مع الإعلام الصهيوني والإمبريالي المتغلغل في أعماق الشعوب الغربية بفعل التحالف السياسي والاقتصادي والعسكري والمصالح المشتركة فقد ركزت الحركة الصهيونية منذ ولادتها على الدعاية والأعمال العلنية فقد ذكر "هرتزل" أن الاستراتيجية الصهيونية تعتمد على المزيد من العلنية وعلى أوسع نطاق فالمهم هو الضجة ، كما أن من العناصر البارزة في التاريخ الصهيوني هو وجود عدد كبير من رجال الصحافة بين قيادتها من أمثال تيودور هرتزل، بن غوريون ، بن زفي ، وجابوتتسكي وغيرهم مما جعل الحركة الصهيونية تسيطر بأساليب وأشكال مختلفة على الإعلام ووسائله في العالم الغربي ونجاحه في أمريكا وقد سجل ذلك اليهودي "الفريد ليلنتال" المعادي للصهيونية في دراساته مبينا حجم التغلغل الصهيوني في وزارة الدفاع ومجلسي النواب والشيوخ مما أدى إلى السيطرة على الرأي العام بهدف تحقيق أمرين:

١. تنمية الشعور المعادي للعرب عن طريق نشر كل ما يحط من قدرهم سواء من خلال الصحف والمجلات أو برامج التلفزيون أو السينما ، وصولا إلى منع المساعدات الأمريكية عن العرب ، ودعم السياسة الصهيونية بوجه عام.

٢. تحويل الرأي العام بعد موقف الفهم والتأييد للوجود الإسرائيلي ، إلى موقف الدفاع عن هذا الوجود والتحالف معه ومحاولة تبرير كل تصرف صهيوني مهما كان نوعه ويلاحظ في ذلك كثرة استخدام الفيتو عند أي قرار دولي ضد الإرهاب الصهيوني.

ويرتكز الإعلام الصهيوني على قواعد أساسية لنتثبيت أقواله وأفعاله فقد طور الإعلام الصهيوني بعض الحجج الارتكازية منذ مراحل نشأته الأولى معتمدا الجانب الديني التوراتي، وبأسلوب تحريضي بين الجاليات اليهودية في أوروبا لإقناع اليهود بالفكرة الصهيونية وحثهم على الهجرة إلى فلسطين كما اعتمدها الإعلام الصهيوني بين المسيحيين في أوروبا لكسبهم نحو " إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين " ونرى أن الإعلام الصهيوني يتبع أسلوبا ديناميكيا يتسم بما يلي:-

١. إسرائيل تواجه العالم بصورة متعددة الجوانب لإرضاء دوائر مختلفة من الرأي العام.

٢. المحور الرئيس للدعاية الصهيونية في الغرب هو المجتمعات اليهودية.

٣. اليهود في الغرب مواطنون ولذلك فهم عنصر ضغط مناسب ومستمر.

٤. الصراع القومي داخل المجتمع اليهودي لعدم الهجرة وقد اعتمد الإعلام الصهيوني كذلك على عدة أساليب كالاستعطاف والشفقة ميرزين ما تعرض له اليهود من أزمات والتشبه بالشعوب المتحضرة واستخدام أسلوب الابتزاز والتهديد مما جعل السياسيين الغربيين في حالة خوف دائم، وأسلوب التهويل وتزوير الحقائق والتشنيع على الخصوم فالعرب برابرة، الفلسطيني قاتل، والفتائي إرهابي ومجرم ، كما استخدم الإعلام الصهيوني أسلوب تعظيم الذات فالمستوطن أوروبي شجاع متفوق.

وقد مرت الدعاية الصهيونية بخمس مراحل أساسية هي :-

١. مرحلة إثارة المشكلة وتبدأ مع بداية الفترة الصهيونية وتنتهي مع صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م.

٢. مرحلة الإعداد للحملة الدعائية وهي من وعد بلفور حتى قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وتصور مرحلة القلق والإضراب دون تحديد أهداف.
٣. مرحلة الهجوم المباشر حيث يبدأ الهجوم خفياً ثم يتدرج حتى يصل مداه عام ١٩٥٦م.
٤. مرحلة إضعاف الخصم وهي مرحلة تشويه الطابع القومي العربي وتبدأ من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٦٧م.
٥. تضخيم النتائج وهي التي تعكس الحملة المنظمة لتأكيد الطابع القومي اليهودي معتمدة في ذلك أسلوب العنف والإرهاب من خلال استخدام التكنولوجيا والتقدم العلمي بعون من الإمبريالية الأمريكية.

الإعلام الفلسطيني وتحديات المستقبل:

مر الإعلام الفلسطيني بعدد من المراحل والتجارب والتحديات التي جعلت منه إعلاماً متميزاً مواكباً للحركة الإعلامية العربية وبخاصة المصرية وكان للتنافس بين المدرستين المصرية والفلسطينية آنذاك في الثلاثينات والأربعينات دور كبير في إثراء الحركة الإعلامية العربية التي دخلت حلبة المنافسة معها وبرز دور المدرسة اللبنانية في الثمانينات والمدرسة الخليجية على حساب المدرستين المصرية والفلسطينية غير أن المدرسة المصرية عادت إلى البروز والتقدم وتراجعت المدرسة الفلسطينية واللبنانية بسبب الحروب والتشتت والحصار والانقسام والتعدد غير المنضبط والمتأثر بالسياسات الدولية الجديدة القائلة بالعدول عن الفضاة المفتوح مما أوجد مساحة للهيمنة الإسرائيلية ورؤوس الأموال اليهودية المخفية وراء الغطرسة الأمريكية الباحثة عن الاستئثار بالعرش العالمي دون مشاركة أوروبية وبخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية، والمغالاة في الصمت الصيني، والانفلات الياباني والتمرد الآسيوي في ميدان الاقتصاد.

وجاء الإعلام الفلسطيني مقسماً على ثلاث فترات رئيسية، الأولى ما قبل عام ١٩٤٨، وكان الإعلام الفلسطيني منافساً للمدرسة المصرية سابقاً غيره في الأقطار العربية، والثانية مرحلة الشتات بأقسامها وتعددتها وأساليبها المختلفة وكان مدرسة بارزة في مواجهة الإعلام الصهيوني الإسرائيلي في ساحات العالم واتخذ الإعلام الفلسطيني عدداً من المنابر البارزة في ميدان الإعلام، المطبوع والمسموع والمرئي، المحلي والعربي والإقليمي والدولي وكان له أنصاره ومؤيدوه في الساحات العالمية والفترة الثالثة ويمثلها الإعلام الفلسطيني في مرحلة السلطة الوطنية وهو أقل إمكانات وأكثر تراجعاً ووفاء لأهداف المرحلة السياسية البالغة الأهمية وبخاصة في ظل العدوان الإسرائيلي السافر على السلام واتفاقيات وطموحات الحالمين بالاستقرار .

تحديات الإعلام الفلسطيني:

من الطبيعي أن يواجه الإعلام الفلسطيني تحديات كبيرة في مسيرته التاريخية تتواءم مع فلسطين وقضيتها وتحدياتها غير أن التحدي الأكبر الذي يواجه الإعلام الفلسطيني هو التحدي الإسرائيلي الذي يتكرر كل حين وفي كل ميدان ويتحدد في الإصرار الإسرائيلي على تعويق عملية السلام والانتقال على اتفاق السلام، والمبالغة في تعميم سياسة الاستيطان والهيمنة على الحدود والأجواء والمياه والكهرباء، والاستيراد والتصدير، ويقع الإعلام الفلسطيني بهيئاته ومؤسساته في هذا النطاق المحاصر وبخاصة أن الحصول على موجات الراديو والذبذبات يقع في دائرة التفاوض مع الحكومة الإسرائيلية، وما تزال السيطرة الإسرائيلية على أجواء البث الإذاعي والتحكم في مستوياته الفنية مما يجعل جهاز الإذاعة والتلفزيون تحت رحمة سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وذات الأمر ينطبق على اقتصاديات الصحافة وبخاصة ما يخص الورق وقطع الغيار للمطابع، وقد دلت المرحلة الحالية التي تشهد العدوان الإسرائيلي الجديد وسياساته العنصرية الظالمة وممارساته الوحشية في الإغلاق والحصار والتقطيع والعزل دلت على حجم معاناة وتحديات الإعلام الفلسطيني.

وفي إطار السياسة العامة للإعلام فقد ورثت السلطة الوطنية الفلسطينية أشكالاً متعددة من الهيئات العامة في حقل الإعلام والحاصلة على تراخيص من قبل وزارة الإعلام الفلسطينية والمحصورة في كتاب الدليل الإعلامي ، ويبلغ عددها أربعمائة وثمانية هيئات موزعة على ثمانيات أنواع كما يوضح ذلك الجدول التالي

جدول يبين الهيئات والمؤسسات الإعلامية العاملة في الضفة والقطاع

مسلسل	الهيئات	العدد	ملاحظات
١	مطابع مرخصة	٦٥	
٢	T.V وإذاعة	٤١	
٣	المجلات	٤٣	
٤	دور النشر ومراكز أبحاث ودورات وقياس رأس	٤٢	
٥	مكاتب للدعاية والإعلان	٥٠	
٦	الصحف	١٩	
٧	المكاتب الصحفية المرخصة	٤٥	
٨	صحفيون لدى وكالات أجنبية	١٠٣	
	المجموع	٤٠٨	

وهذه الهيئات والمراكز بأنواعها المختلفة تحتاج إلى إعادة تدقيق وتصويب، ومتابعة لأنشطتها وجهات تمويلها وأهدافها من خلال رصد شامل لبرامجها وإنتاجها ومجالات تأثيرها للتعرف على حقيقتها وقدرتها على التناغم مع السياسة الإعلامية الفلسطينية وبخاصة أن هيئات الإذاعة والتلفزيون الخاصة ما تزال موضع سؤال، وقد شغلت حيزاً من المتابعة الصحفية تأييداً ومعارضة بالرغم من حصولها على تراخيص من وزارة الإعلام، حيث ما يزال هناك عدد آخر من هذه الهيئات لم يحصل على مثل هذه التراخيص، وتحظى هذه الهيئات بين حين وآخر بالترويج الإعلامي لها من قبل إذاعة " صوت إسرائيل" بالعربية التي كانت تحتكر البث الإذاعي وأصبح في المناطق الفلسطينية عام ١٩٤٨ هذه الأيام ما يزيد على ثماني عشرة محطة للراديو إضافة إلى محطة (عالية نساها) التابعة للجيش الإسرائيلي التي تحاول أن تكون الأقوى بين إذاعات الشرق الأوسط لما تتمتع به من حرية إمكانات تفوق الإمكانيات المتوفرة في إذاعة (صوت إسرائيل) وهي ليست تابعة لليمين أو اليسار وتتهج نهجاً علمانياً وقد أنشئت عام ١٩٥١م بأمر من أول رئيس لوزراء الحكومة الإسرائيلية بن غوريون والذي أراد من هذه الإذاعة خدمة المهاجرين اليهود وتعليق عملية الاستيطان.

وما تزال وسائل الإعلام الفلسطينية وبخاصة الصحافة والراديو والتلفزيون بحاجة إلى الدراسات البحثية والتقويمية التي تقيس مدى انتشارها وتأثيرها ومتابعة أهدافها وحجم توزيعها، قد تبين لنا من خلال المتابعة والمعاشية الميدانية أن الشعب العربي الفلسطيني المعبر عنه اليوم في السلة الوطنية الفلسطينية ما يزال بحاجة إلى التأهيل والتدريب والإعداد والتوجيه وفق الأصول العلمية ولعنا نجد ذلك في الجيل الواعد المتعطش للدراسات الإعلامية ، والعاشق للعمل الإعلامي وبخاصة في ميدان الصحافة والعلاقات العامة.

وفي هذا السياق يمكن إجمال أهم التحديات للإعلام الفلسطيني في هذه المرحلة التي تؤسس للدولة الفلسطينية المستقلة على النحو التالي :-

١. قلة الإمكانيات المالية بخاصة بعد انقطاع الموارد المالية من دول الخليج وعدم وفاء الدول المانحة لعودها ، والحصار الإسرائيلي والطوق الأمني الذي يهدد رؤوس الأموال والتجار والخبرات ، فتراجع عن المشاركة في الاستثمار في الضفة الغربية وبخاصة في ميدان الإعلام الذي لا يجد له

إنصافاً بين رؤوس الأموال وكبار التجار على غرار ما كان في البلاد العربية والأوروبية التي أسهمت رؤوس الأموال والتجار في دعم وسائل الإعلام والمؤسسات الإعلامية.

٢. ندرة الخبرات والكفايات العلمية والأكاديمية والفنية والمؤهلة والمدرّبة في وزارة الإعلام من ناحية والمؤسسات الإعلامية والثقافية والفنية بسبب السيطرة الإسرائيلية على الحدود وبطاقات الهوية والدخول والخروج والاستثمار مما أعاق دخول والكفايات الفلسطينية المنتشرة في أقطار العالم ، وقد دلت إحصائية وزارة الإعلام على هذه الندرة والمعاناة في التأهيل والتخصص كما جاء في إحصائية وزارة الإعلام.

٣. محدودية الامكانيات الفنية المتعلقة باقتصاديات الإعلام والتصنيع الإعلامي حيث لا توجد المطابع الصحفية المتطورة والحديثة وإنما هي بقايا مطابع مضي عليها عشرات السنين وبامكانيات محدودة ولعل أحدث هذه المطابع الخاصة بصحيفة الأيام وذات الامكانيات المحدودة ، وكذلك الأمر بالنسبة للإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما والأخيران معدومان تماماً وان كانت هناك بعض المحاولات التجريبية.

٤. حجم البث وتدفعه على الأجواء الفلسطينية واللبنانية من خلال تعدد أشكال البث والقنوات الفضائية العالمية المتعددة وبخاصة الإسرائيلية والأردنية والمصرية والتركية ومركز الشرق الأوسط M.B.C واللبنانية والقناة الخاصة بالموسيقى M.C.M وقد سمحت السلطات الإسرائيلية لموزعي الكوابل بالعمل في السوق الفلسطينية وبطرق غير شرعية وبواسطة هوائيات يمكن الواحد منها تزويد عمارة سكنية كاملة ببرامج يتم اختيارها بدقة ومجاناً حيث يتم تسديد النفقات من عائداً الدعائية والإعلان، بالإضافة إلى سهولة امتلاك الأطباق زهيدة الثمن والتي تبلغ حوالي ألف وخمسمائة فرنك فرنسي.

٥. عدم جدية التنسيق الإعلامي العربي سواء في إطار جامعة الدول أو الإطار الثنائي مع السلطة الفلسطينية ، بحيث يتم إعداد خطة مشتركة لمواجهة هذه التحديات ليظل القلب الفلسطيني نابضاً بالعطاء العربي ، معيدا سيرة الماضي التي وحدت القلوب العربية وبخاصة المصرية الفلسطينية عبر الأثير وفي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ونأمل أن يكون لها ذلك في الألفية الثالثة وتحديات المرحلة المقبلة.

٦. قصور البحث العلمي والدراسات الإعلامية عن الوفاء بحاجات ومتطلبات المرحلة الجديدة التي تحتاج لغة جديدة وأساليب جديدة كي ، تهتم بدراسة المجتمع والوقوف على أشكال التأثير الخارجي المتسلل عبر مراكز التنمية والتأهيل والتطوير كما يحدث مع أي مجتمع أو كيان جديد.

٧. عدم وجود مراكز للتدريب والإعداد والتوجيه للكفايات الشابة التي بحاجة إلى ذلك، بالإضافة إلى غياب سياسة التخطيط، وعدم وضع سياسة التوظيف وهو ما يجعل المؤسسات الإعلامية مكتظة بالموظفين غير المتخصصين.

مستقبل الإعلام الفلسطيني :

ما يزال الإعلام الفلسطيني ينتمي إلى مدرسته الأولى مدرسة إعلام حركات التحرر الوطني ، فما يزال الصراع على أشده بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي بالرغم من اتفاق السلام وبروز مصطلحات ومفردات العداوة لدى المتطرفين اليهود دون الابتعاد عن أهمية الاستمرار في عملية السلام الاستمرار في عملية السلام التي يعطلها تصرفات الحكومة الإسرائيلية ممارساتها العدوانية.

لقد فرضت المرحلة الجديدة على الإعلام الفلسطيني مهمات جديدة وأساليب جديدة تبقى على حقائق التاريخ وثوابت الأهداف الوطنية دون المس بعملية السلام مقابل الحذر الشديد في استخدام المصطلحات المتسللة إلى المجتمع الفلسطيني بحكم الاحتكاك والانفتاح الذي سبق سنوات الانتفاضة وأدى إلى انتشار اللغة العبرية ومفرداتها ذات العلاقة بالحياة اليومية ، بالإضافة إلى المفردات الحائرة في تحديد المضامين

الوطنية مثل مفردات (مناطق السلطة ، عرب إسرائيل ، الخط الأخضر ، مواقع المستوطنات ومسمياتها البديلة للأصول، والمعابر بمسمياتها العبرية ، مثل "ايرز" أي بيت حانون وغير ذلك) .
مما يقتضي اليقظة والانتباه وعدم الوقوع في حبال الإعلام الإسرائيلي الهادف والمخطط له بعناية وقصد .
ومما يلزم التأكيد عليه في ختام هذه المعالجة للإعلام الفلسطيني الحرص على تشكيل مجلس أعلى للإعلام من للكفايات الإعلامية والثقافية والتربوية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية وذوي الرأي والمختصين والعاملين في الميدان، ويختص بالتقويم والتنظيم والأهداف بدقة ووضوح تتقن التعامل مع معطيات العصر ومستجداته اليومية والتقنية، وبخاصة أننا نفع في دائرة البث الإذاعي الشبيه بحرب الأثير أثناء الحرب العالمية الثانية والتي يمكن أن نطلق عليها اليوم حرب الأقمار الاصطناعية، والقنوات الفضائية، وقد دلت التجربة الإعلامية الفلسطينية وبخاصة في ميدان الإذاعة والتلفزيون عن عدم القدرة على مخاطبة الرأي العام الدولي وان كانت نجحت في نقل الصورة المتحركة وهذا يؤكد على ضرورة إعادة تنظيم الإعلام الفلسطيني وإسناده إلى أهله والتخطيط لسياساته وأهدافه في إطار السياسة العامة والتطور العلمي والتكنولوجي.

&&&&&&&

إعلامي فلسطيني